دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	لماذا تعددت المذاهب في الفقه الاسلامي
المصدر:	مجلة جامعة ابن يوسف
الناشر:	جمعية إحياء جامعة ابن يوسف
المؤلف الرئيسي:	بغداد، عبدالعزيز
المجلد/العدد:	ع8,9
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2010
الصفحات:	662 - 670
رقم MD:	592904
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase, EduSearch, IslamicInfo
مواضيع:	الفقه الاسلامي، المذاهب الفقهية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/592904

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

لماذا تعددت المذاهب في الفقه الإسلامي

الأستاذ عبد العزيز بغداد

اغتبطت بهذا الموضوع مرتين، مرة عندما اقترح علي أن أتناول الكلمة فيه مرة وأنا مائل بين أيديكم في هذه الأمسية الخالدة ونحن بمنزل شيخنا وأستاذنا الكريم سيدي إبراهيم الهلالي.

قبل أن أدخل في صلب الموضوع المقترح — لما تعددت المذاهب في الفقه الإسلامي؟ أحب أن أقف بكم —وقفة عابرة– عند أهمية موضوع الفقه الإسلامي:

تدل مادة الفقه أو الفقاهة أو التفقه أو فعل فقه في اللغة العربية على دقة الفهم والإدراك الحسن.وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم حوالي عشرين مرة، وبصيغ مختلفة، وكلها تفيد الفهم الدقيق والإدراك البعيد والفطنة والاستيعاب.

ولقد سجلت المعاجم والقواميس العربية هذه المعاني كلها بعد استقصاء لما ورد من نصوص في الكتاب والسنة، ولما تحدث به الألسنة العربية الخالصة والعقول الممتازة التي تتحسس نبض اللغة وتدرك عمق الدلالات التي تحملها الألفاظ.

حينما نروم البحث عن هذه المادة في المعاجم والقواميس العربية فإننا نجدها تقول:

1- فقه الأمر يفقهه فقها وفقها أي أحسن إدراكه.

2- ويقال" فقه عنه الكلام ونحوه فهمه فهو فقه، ويقال أوتي فقها في الدين أي فهما فيه.

3- الفقه بالشيء هو العلم به، والفعل فقه بالكسر من باب فعل.

4- والفقه أي الفطنة.

ونقول : فاقهه أي غالبه في الفقه أي العلم.

ونقول: فقهه أي صيره فقيها.

5- الفقيه هو العالم بأصول الشريعة وأحكامها، وفي حديث سلمان، أنه نزل على نبطية بالعراق فقال: هل هنا مكان نظيف أصلي فيه؟ فقالت: طهر قلبك وصل حيث شئت، فقال سلمان: فقهت أي فطنت وفهمت.[1]

زمنه فقه فقاهة ككرم كرامة أي صار الفقه له سجية، وهذا من أفعال السجايا.

وفقه بالكسر مثل فرح ومثل علم زنة ومعنى فقيه. جمعه فقهاء، وهي فقهية جمعه فقائه.

ومنه: تفقه، أي تكلف التفقه وبذل الجهد في الفقه والفهم والوصول إلى عمق المعنى، وهذا ما يعنيه التعبير: ليتفقوا في قول عز وجل:

" فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين"[2]

ومن التجني على الفقه الإسلامي أن جعل بعض الكتاب والباحثين في القانون.

القانون الوضعي هو عين الفقه الإسلامي، والحال أن مدلول الفقه يختلف عن مدلول القانون اختلافا بينا، فليس الفقه مرادفا للقانون بحال من الأحول وليست لفظة الفقه كلمة يستطاع ترجمتها بسهولة إلى لغة أخرى لأن

---

[1]- مادة الفقه في لسان العرب ومعجم تاج العروس.

[2]-سورة التوبة الآية 122

له مدلولا اصطلاحيا خاصا مستمدا من روح الديانة الإسلامية، وقائما على المعنى الذي ارتبطت منه أحكام الشريعة بالأصول الاعتقادية صورة كونت مدلولا للفقه الإسلامي لا يمكن أن يفهم إلا بروح الحضارة الإسلامية، ذلك أن الإسلام دين أساسه- جميع الأديان- يرجع إلى العقيدة التي هي أمر متعلق بما وراء المادة ومن ثم فإن الفقه الإسلامي منسوب إلى دين ومضافا إليه، إذن فهو أمر ديني.

على حين أن القوانين الاجتماعية الوضعية مبنية على نظرية الحق والواجب وهذان الأمران، إنما يؤخذان في نظر القانون باعتبار كونهما إطار للحياة الاجتماعية.

ومن هنا كان الفقه الإسلامي أوسع مدلولا من القانون الوضعي، والإسلام عموما جاء ليكشف عن الغموض الذي بقي من الأديان الماضية، وكان أكبر معبرا عن هذا الكشف، وإذا أردنا أن ندلل على ذلك، أي على شمولية وروعة الفقه، نفق عند هذا المصطلح الكبير: المذاهب في الفقه الإسلامي. إن المتحدث عن الفقه الإسلامي لابد أن يعرج على هذه المسألة الأساسية في الموضوع:

وهذا يقتضي منا أن نتساءل: لماذا تعددت المذاهب في الفقه الإسلامي؟

أولا: ما هو المذهب؟

المذهب هو الطريقة والمعتقد الذي يذهب إليه، والمذهب عند العلماء مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة متناسقة.

يقول: "وهبة الزجيلي:

"المذهب مكان الذهاب، هو الطريق، وفي الاصطلاح الأحكام التي اشتملت عليها المسائل، شبهت بمكان الذهاب بجامع أن الطريق يوصل على المعاش، وتلك الأحكام توصل إلى المعاد:[3]

وما ينبغي أن نشير إليه ونحن نقبل على أهم عنصر في موضوعنا هذا هو أن تعدد المذاهب في الفقه الإسلامي ما هو إلا تعدد تنوع واتساع، وليس تعدد تفرق وانقطاع، وهو من باب اختلاف وجهات النظر، وقد فطر الإنسان على أن يقدر الأشياء بعقله ويحكم عليها خاصة فيما لم يقيد أو يحدد، وقد جبل الله تعالى الناس على أن تكون بينهم فروق فردية وميول نفسية ولذلك يقول جل شأنه:

" ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزاولون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم"[4]

وقد تعرض العلماء إلى بيان أسباب الاختلاف فأرجعوها إلى ثلاثة أسباب:

- أولها: اختلاف مقتضيات الألفاظ.
- ثانيها: تعارض الأحاديث مع اختلاف طرق الترجيح.
- ثالثا: اختلاف مسالك العلة.

---

[3]-الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء 1 ص 42.

[4]-سورة هود الآية 118

فبالنسبة على اختلاف مقتضيات الألفاظ، فإن هذا ينبغي أن يرجع فيه إلى أن من النصوص ما لم يكن مجالا للاختلاف فيه، وهو الذي اتفقت الفتاوى وانعقد الإجماع على مقتضى ما استفيد من تلك الأدلة وهو ما نعبر عنه بالنص.

وهناك من النصوص ما يرجع فيه إلى الظاهر أو إلى المؤول أو إلى غير ذلك، هو ما وقع الاختلاف فيه بناء على أن المقتضى يصلح لأن يكون شيئا وغيره بحسب اختلاف المحملين اللذين يحمل عليهما النص المفرد أو تحمل عليه دلالة التركيب.

وبالنسبة لما يرجع لدلالة الألفاظ ف القرآن الكريم فإنه يرجع إلى معنى من معاني الإعجاز: فقد أراد الله من بعض الأدلة أن تكون بينة يقينية واضحة، وأراد من البعض الآخر أن يكون مشتملا على ما اشتمل عليه من الإجمال أو من قابليتة التأويل أو من غير ذلك، لأنه تعالى يعلم أن ما لا مجال للخروج عن الحكم الواحد فيه هو الذي أورد دليلة نصيا، وأن ما يرى تعالى أن الكلمة مندوحة المسعى في أن يكون هذا الموضع أو غير ذلك بالنسبة إلى هذا الحكم هو الذي جعل دليله قابلا للتأويل بناء على مقتضى مقام الإعجاز أولا والحكمة التشريعية ثانيا.

وأما تعارض الأحاديث مع اختلاف طرق الترجيح واختلاف مسالك القياس فإنها لا محالة إذا تعارضت الأحاديث ولزم أن يجمع بينهما أو أن يرجح أحدها على الآخر فإن هناك طرقا في الترجيح،وهذه الطرق راجعة إلى تقديرات ذوقية وإلى أساليب تطبيقية للقواعد الشرعية أو للمواعد

العلمية،بحيث إن الناس يختلفون في طرق الترجيح بحسب اختلاق التقديرات الشخصية التي يقدر بها كل فقيه المرجع الذي يعتمد عليه.

ونعتقد أن تعدد المذاهب في الفقه الإسلامي قد أصل في نفوس أبناء الأمة الإسلامية رغبة نهمه في استبطان قوى النصوص الإسلامية ودسامة موادها، فخاضوا عبابها بالعقل المدرب والذهن الثاقب حتى أنشأوا جيلا من الرجال والنساء الذين وردوا العلم من أصفى منابعه وخطفوا لنا هذه الثروة الفقهية الصامدة في مختلف المجالات، وخلفوا لنا أيضا ضوابط وأسسا نستطيع أن نغالب بها الحضارات ونساهم بها في ملء الفراغ الاجتماعي كلما كان هناك فراغ اجتماعي.

ذلك أن اختلاف المذاهب كان اختلاف رحمة، استثمرت به المواهب، وحركت آليات الفكر، وما كان الفقهاء ليحققوا شيئا مما حققوه لو أن ذلك الاختلاف كان اختلافا في الأصول والمبادئ،ففي غمرة ذلك الاختلاف كانت وحدة القلوب أكبر وأعظم من أن تحشدها جزئيات الاختلاف الناتجة عن الرغبة في التنويع والامتداد والحيوية والاستعداد.

اختلف الأسلاف حقيقة: في جزئيات عديدة ولكنه لم يكن اختلافا ضارا ولا اختلاف ضغائن وأحقاد وسوء نية، وما تزال بذور الاختلاف ناشبة أظفارها في حياتنا اليوم خاصة وقد تشعبت الأمور وانهالت على الحياة قضايا كبرى دعت إلى البحث عن الحلول الناجعة والمسالك الموصلة، ولكن بدل أن يكون ذلك ظواهر صحية تغني العقل المسلم بخصوبة في الرأي وامتداد في الفكر وإطلاع على عدد من وجهات النظر ورؤية الأمور من أبعادها

وزواياها كلها وإضافة عقول إلى عقل، انقلب ذلك كله عند المسلمين اليوم إلى وسيلة للتنافر والتآكل والإنهاك، وغدا فرصة للاقتتال حتى صار الأمر بنا إلى الضياع والتشرذم وإلى حد التصفية الجسدية وإلى حد التصفية الجسدية وإلى الاستنصار والتقوى بأعداء الدين على صاحب الرأي المخالف.

ولعل السبب في ذلك هو النظرة الضيقة الجزئية وقبوع الباحث وراء جزئية يضخمها ويكبرها حتى تستغرقه وتبتلعه إلى درجة لا يمكن معها أن يرى شيئا آخر أو إنسانا يرى رأيا آخر.

إننا اليوم في أشد الحاجة إلى ما كان عليه السلف الصالح من صفاء في القلوب واريحية في النفوس وبراءة من الحسد والحقد وثقة في الأخوة وظنون الخير بهم.

إن الاختلاف لا يجوز أن يكون سببا في الافتراق وتمزيق عرى المحبة والاحترام ذلك أن السلف الصالح قد تخلصوا من العلل النفسية، والذي يدل على أنهم لما بشرهم الرسول ص بطلعة الرجل وأخبرهم أنه من أهل الجنة راحوا يستكنهون السر الذي بلغ بالرجل إلى هذه الدرجة فوجدوا أنه لا ينام وفي قلبه غل على مسلم.

إن مهمة الفقه الإسلامي اليوم أن يوحد الأمة ويجمعها على مائدة العلم الصحيح والمعرفة الصحيحة. إن المسلمين اليوم في مواقعهم الكثيرة لا يشكون من قلة المادة وتوفر الأشياء فكيف بهم يتحولون اليوم أمة مستهلكة على مستوى الأفكار والأشياء معا؟

لعلهم افتقدوا المعاني الجامعة أو الرموز الهادية والقواسم المشتركة وأصاب الخلل بنيتهم الفكرية.

ومعناه أنه لا بد من إعادة الصياغة وإعادة الترتيب المفقود لفكر المسلم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى كتب الأصول حيث وضع علماؤنا الضوابط والقواعد للمقايسة والاستنتاج لضبط الرأي وضمان مساره وتنمية الدراسات التي تؤكد وحدة الأمة وقواسمها المشتركة والمنهج التربوي الذي يسلحها بأخلاق المعرفة وإبراز النقاط الجامعة والهروب من الخلفيات حالات تعتبر حالات مرضية لا يعتد بها.

توقيع عبد العزيز بغداد.

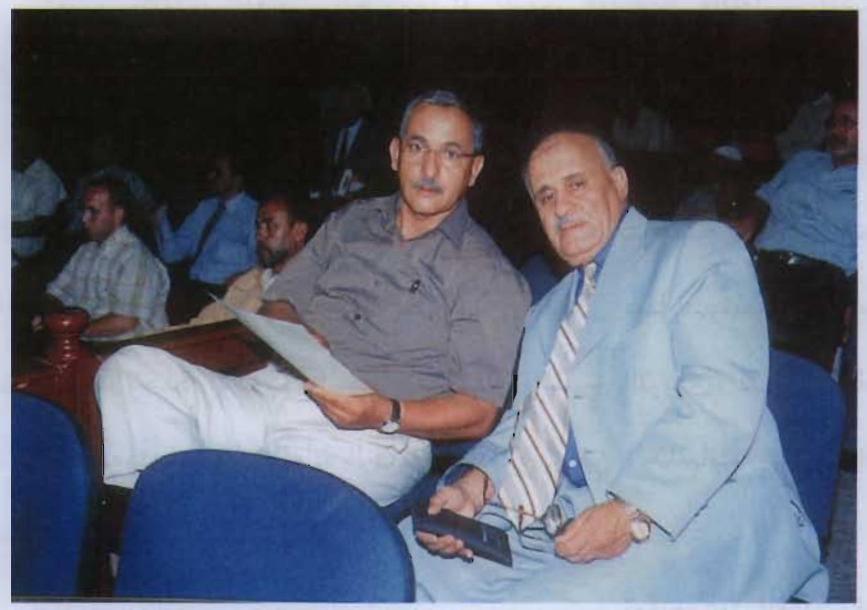

مشاهد مختلفة من الندوة الوطنية التي نظمتها الجمعية ، ويرى في الصورة الأستاذ عبد العزيز بغداد والاستاذ شلبي م اسماعيل وهما يساهمان في الندوة